على بساط الريح

فوزي المعلوف

على بساط الريح

تأليف
فوزي المعلوف

هنـــداوي

على بساط الريح

فوزي المعلوف

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: إسلام الشيمي

الترقيم الدولي: ٤ ٠٨٤٠ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٢٩.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠١٤.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف مُرَخَّصة بموجب رخصة المشاع الإبداعي: نَسْبُ المُصنَّف، الإصدار ٤,٠. جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي خاضعة للملكية العامة.

المحتويات

مَلِكٌ في الهواء	٧
روح الشَّاعر	٩
العبد	١١
حُلمٌ فحقيقة	١٣
بين الطُّيور	١٥
رمزُ الألم	١٧
قرب النُّجوم	١٩
أوراقٌ متناثرة	٢١
في عالم الأرواح	٢٣
حفنةٌ من تراب	٢٥
رُقِيٌّ كاذب	٢٧
كفَّارة الشَّاعر	٢٩
على بساط الرِّيح	٣١
على الأرض	٣٣

مَلِكٌ في الهواء

في عُباب[1] الفضاءِ فوق غيومِهْ
فـــــوق نَـــــســـــرِهْ
ونـــــجـــــمـــــتِـــــهْ

* * *

حيث بثَّ الهوى بثغرِ نسيمِهْ
كـــــلَّ عـــــطـــــرِهْ
ورقَّـــــــــــتِـــــــــــهْ

* * *

موطنُ الشاعرِ المحلِّقِ — منذ
البدءِ — لكنْ بروحِه لا بجسمِهْ

أَنزلتْه فيه عروسُ قوافيهِ
بعيدًا عن الوجود وظلمِهْ

ملِكٌ قبَّة السماء له قصرٌ
وقلبُ الأَثيرِ[2] مسرحُ حُكمِهْ

---

[1] عباب الفضاء: بمعنى بعده السحيق وعمقه.

[2] الأثير: بمعنى الفلك الأعلى.

ضاربٌ في الفضاءِ موكبُهُ النورُ
وأَتـبـاعُـهُ عـرائـسُ حُـلـمِـهْ

ملـكُهُ ركنُهُ الـهواءُ ومـا أقواه
ركـنًـا قـامَ الـخـلـودُ بـدعـمِـهْ

عرشُـهُ سُـدَّةٌ[٣] السـحـابِ عليـها
نفضَ اللَّيلُ كلَّ رهبةِ رَسِمِهْ

تاجهُ هالةٌ ينضِدُ[٤] في فضَّتها
الأفـقُ بـدرَهُ قـربَ نـجـمِـهْ

والدجى طيلَسانُهُ[٥] فاحَ كافورُ
دراريـه[٦] فـوق عـنـبـرِ فَـحـمِـهْ

والـثُـريَّـا فـي كـفِّـهِ صـولـجـانٌ
دُرُّهُ لـمَّـهُ الـصـبـاحُ بـكُـمِّـهْ

مَـلِـكٌ طـائـرٌ بـغـيـرِ جَـنـاحـيـنِ
بأمرِ الخيالِ يَقضي وباسْمِهْ

يا جَناحَ الخيالِ أَقوى جَناحٍ
أنتَ يُلوى ظهرُ الرياحِ لصَدمِهْ

ليت شعري ما الشاعر ابنٌ لهذي
الأرضِ إلّا بـلـحـمِـهِ وبـعـظـمِـهْ

فـإذا اخـتـارَ هَـجْـرَهـا بـرضـاهُ
أفـمـا جـاءَهـا مَـقـودًا بـرُغـمِـهْ

هو منها وليس منها فما زالَ
غـريـبًـا مـا بـيـن أبـنـاءِ أُمِّـهْ

---

[٣] السدة: المركز المميز في صدر المكان.

[٤] ينضد: يرتب ترتيبًا مقتنًا. يقصد أنه متوج بالقبة الفضية التي تم فيها ترتيب الكواكب.

[٥] الطيلسان: العباءة الفضفاضة الخضراء.

[٦] الدراري: النجوم؛ ومعنى البيت أنه يرتدي كسوة خضراء مضمخة بالطيب الذي يخفف وطء سواد الليل.

روح الشَّاعر

أَيُّ روحٍ في بُردةِ الشعراءْ
رفعتهُمْ
على الهواءْ

* * *

أبعدتهُم عن عالمِ الأحياءْ
قرّبتهُم
منَ السماءْ

* * *

أنتِ يا روحَهم مِنْ تَنَوُّرِ ذرَّاتٍ
أَضاءَتْ في الكونِ في عالمَيْهِ

تَصِلُ الأرضَ والسماءَ بنهرٍ
غَمَر الحسنُ والهوى ضَفَّتَيْهِ

لستِ من عالمِ الترابِ وإن كنتِ
تقمَّصتِ بالترابِ عليهِ

أَنتِ من عالمٍ بعيدٍ عنِ الأَرضِ
يَفيضُ الجلالُ عن جانبَيهِ

نسمةُ الشعرِ أَنتِ، فيهِ تَبُثّينَ

أريـجَ الـشـعـورِ فـي بُـردتَـيـهِ
هو فردوسُكِ السحيقُ فلا الإِثْمُ
ولا الـشـرُّ يـبـلُـغـانِ إِلـيـهِ

وفتى الشعرِ يَستنزِلُ الوحيَ
بـيـانًـا يـجـثـو الـخـلـوُد لـدَيـهِ

حافرًا باللظى على مِصْحفِ
الأُفقِ سُطورًا تُنيرُ في دَفَّتيهِ

ما احمرارُ الأَصيلِ غيرَ لهيبٍ
شعَّ من قلبِهِ على مُقلتَيهِ

ورُكامُ السَحابِ غيرَ دخانٍ
نفثَتْهُ الهمومُ من شفتَيهِ

ما أنينُ الرياحِ غيرَ زفيرٍ
نـزعـتـهُ الـريـاحُ مـن رئَـتَـيـهِ

ونُواحُ الطيورِ غيرَ عويلٍ
نقلَتهُ الطيورُ عن أصغرَيهِ

ما ندى الفجرِ غيرَ لؤْلؤِ دمعٍ
رشفتهُ الأزهارُ من مِحجرَيهِ

وبريقُ النجوم غيرَ شظايا
كأسِ حبٍّ تحطَّمَتْ في يدَيهِ

العبد

بينَ روحي، وبين جسمي الأَسير
كـــــانَ بُـــــعـــــدٌ
ذقـــــــتُ مُـــــــرَّهْ!

* * *

أنا في الأرضِ، وهي فوق الأَثيرْ
أنـــــا عـــــبـــــدٌ
وهـــــــيَ حُـــــــرَّهْ!

* * *

أنا عبدُ الحياةِ والموتِ، أَمشي
مُكرهًا من مُهودِها لقبورِهْ!

عبدُ ما ضمَّتِ الشرائعُ من جَوْرٍ
يخُطُّ القويُّ كلَّ سطورِهْ

بيَراعٍ دمُ الضعيفِ لهُ حِبْرٌ
ونَوْحُ المظلومِ صوتُ صَريرِهْ!

أنا عبدُ القضاءِ، تملأُ نفسي
رهبةٌ من بشيرِهِ ونذيرِهْ!

عبدُ عصرٍ من التَمدُّنِ، نَلهو

ضِلَّةً عن لُبابِه بقشورِهْ!

عبدُ مالي، أَحظى به بعدَ جُهْدٍ
فإذا بي أَنوءُ من ثِقْلِ نيرِهْ!

عبدُ إسمي، ذَوَّبتُ روحي وجسمي
طمعًا في خلودِهِ ونشورِهْ!

عبدُ حبِي، أَنزلتُه في فؤادي
فكوى أَضلعي بنارِ سعيرِهْ!

أنا في قَبضةِ العبوديةِ العَمياءِ
أَعمى مسيَّرٌ بغرورِهْ!

إنَّ جسمي عبدٌ لعقلي، وعقلي
عبدُ قلبي، والقلبُ عبدُ شعورِهْ

وشعوري عبدٌ لحسي، وحسي
هو عبدُ الجمالِ، يحيا بنورِهْ!

كلُّ ما بي في الكونِ أَعمًى ومُنقادٌ
على رُغمِهِ لأعمى نَظيرِهْ

غيرَ روحي فالشعرُ فكَّ جَناحَيْها
فطارتْ في الجوِّ فوق نسورِهْ

تَنتَحي عالمَ الخلودِ، لتحيا
حرَّةً، بين روضِهِ وغديرِهْ! ...

حُلمٌ فحقيقة

يا طيورَ السماءِ في الريحِ روحي
بـــــيَ جـــــريًـــــا
عـــلـــى الـــجَـــلَـــدْ[1]

* * *

وبِجسمي طيري إلى حيثُ روحي
فـــيـــهِ تـــحـــيـــا
بـــــلا جَـــــسَـــــدْ!

* * *

هوَ حلمٌ مَجنِّحٌ، رافقَ الشاعرَ
يَطوي الأَجيالَ جيلًا فجيلا

خلعَتْ يقظةُ العقولِ جَناحَينِ
عليهِ يُحيِّرانِ العقولا

ما هُما من خرافةٍ وخيالٍ
بل هما من حقيقةٍ وهَيولى

---

[1] الجلد: بمعنى السماء أو القبة الزرقاء.

صَعِّدِ الطَرْفَ في الأَثيرِ تُجِدْني
قاطعًا في الأَثيرِ ميلًا فميلا

خببًا[٢] تارةً، وطورًا وَئيدًا
صُعدًا مرَّةً، وأخرى نُزولَا

فوق طيَّارةٍ على صهواتِ الريحِ
قامتْ تروِّضُ المستحيلا

هُوَ ذا طائرُ الجمادِ كأَنَّ
الجنَّ في صدرِهِ تحثُّ خُيولا

حَمْحَمَتْ تضرِبُ الرياحَ بنعلَيْها
فشقَّتْ إلى السماءِ سبيلا

ثمَّ مدَّتْ إلى النجومِ جَناحينِ
وجرَّتْ على السَّحابِ ذيولا

غَرِقَتْ فِي الْأَصِيلِ حينًا، وعامتْ
بعد حينٍ تعلو قليلًا قليلا

تَرتدي من دُخانِها بُردةَ اللَّيْلِ
وتُلقي عن مَنْكِبيها الأَصيلا

وعليها من الشرارِ نجومٌ
عَقَدَتْ حولَ رأْسِها إكليلا

حلِّقي، حلِّقي، والْقِي على الأَفلاكِ
رُعبًا ورَوعةً وفُضولا

واشْهَدي في الطُيورِ كرًّا وفرًّا
واسمعي في النجومِ قالًا وقيلا!

[٢] الخبب: طريقة عدو متسارع للخيل.

بين الطُّيور

قال نَسرٌ لآخَرْ: «أَيُّ نَسرٍ
هـــــوَ هـــــذا؟
ومَـــنْ رِفـــاقُـــهْ؟

* * *

إنْ يَكُنْ قادمًا إلينا لخيرٍ
فـــلـــمـــاذا
عـــلا زُعـــاقُـــهْ؟

* * *

يا لهُ طائرًا بصورةِ شَيْطانِ
يبثُّ اللهيبُ بركانَ صدرِهْ

أَهْوَ منّا؟ لا. لا. فلمْ أَرَ جَبَّارًا
كهذا في الجوِّ ما بين طَيرِهْ

إنَّ قلبي لَموجِسٌ منهُ شرًّا،
رُحْ بنا نَجضتلي حقيقةَ أَمرِهْ»

«آدميٌّ هذا — أَجابَ أَخوهُ —
جاءَ يَستعمرُ الأَثيرَ بأَسرِه

كُرَةُ الأرضِ عن مطامعِهِ ضاقتْ

فحطَّتْ هنا مَطامحُ فكرِهْ
نحنُ لمْ نَهْجُرِ البسيطةَ، إلَّا
هَربًا منه واجْتنابًا لشرِّهْ

قُمْ بنا نَحْشُدُ الطيورَ وننقضُّ
عليه، نُجزيه مِنْ مثلٍ غدرِهْ!»
ودَوَتْ في الأَثيرِ صيحَةُ حربٍ
ملأَتْهُ بنَسرِهِ وبصقرِهْ

هو حشدٌ أَثارَ ضربُ خَوافيهِ[1]
غبارَ السحابِ يُعْمي بذَرِّهْ
وإذا بي ما بينَ أَجنحةٍ سودٍ
على الأُفقِ حجَّبتْ وجهَ بَدرِهْ

طوَّقتني بكل فاغرِ شَدْقٍ
صامدٍ لي بِمخلَبيْهِ وظِفرِهْ!
«لا تخافي يا طيرُ ما أَنا إلَّا
شاعرٌ تَطربُ الطيورُ لشعرِهْ

زارَكِ اليومَ مُتعبًا يَنْشدُ الراحةَ
في هدأَةِ السُكونِ وسحرِهْ
فرَّ عن أَرضِهِ فرارَكِ عنها
مِنْ أَذى أَهلها وتنكيل دهرِهْ!»

[1] الخوافي: رياش في جناح الطائر لا تظهر إلا إذا نشره، وذلك بخلاف القوادم التي تظل بادية للعيان عندما يطوي الطائر جناحه.

رمزُ الألم

أُنظُريهِ يَمْشي وفي خَطَواتِهْ
نَـــــــــــــــــــــزَواتٌ
مـــــــــنَ الأَلـــــــــمْ

* * *

عاثرَ الـجَدِّ،[1] جَدَّ تـحدو بذاتِهْ
نَـــــــــــزَعـــــــــــاتٌ
إلـــــــى الـــــــعـــــــدمْ

* * *

غمرته الأحلامُ بالشَّفَقِ الوَرْديِّ
يُـغـريـهِ بـالـمـنـى تَـعْـلـيـلا

وتلاشَتْ حلمًا فحلمًا، إلى اللَّاشيءِ
تَـمـشـي بـهِ قـلـيـلًا قـلـيـلا

هوَ في مَيْعَةِ الشبابِ ولو حدَّقتِ
فـيـه أَبـصـرتِ شـيـخًـا هَـزيـلًا

---

[1] الجد: الحظ.

بـقَـوامٍ كـأَنَّ قـاصِـمَـةَ الـظَـهـرِ
أنـاخَـتْ عـلـيـهِ حِـمْـلًا ثـقـيـلَا

وجـبـيـنٍ أَلـقـتْ عـلـيـه شُـجـونُ
النفسِ ظِلًّا منَ العُبوسِ ظَليلا

فـهْـوَ لا يـعـرفُ الـتَـبـسُّـمَ إلَّا
عندما يستعيدُ حلمًا جميلًا!

أَلِفَ اليأْسَ قلبُهُ، فهْو واليأْسُ
يُـحـاكـي بُـثَـيـنَـةً وجـمـيـلا

وإذا الـيـأْسُ صَـدَّ عـنـه قـلـيـلا
راحَ يَبكي على نَواهُ طويلا!

وإذا مـا الـنـسـيـمُ مَـرَّ عـلـيـه
فـعـلـيـلٌ أَتَـى يَـعـودُ عـلـيـلا

حائرُ الطرفِ شاردُ الفكرِ يَحكلي
مُدْلجًا في الظلام ضَلَّ السبيلا

تاهَ في عالمِ الخيالِ، فضاعَتْ
نفسُهُ وهْيَ تَنشُدُ المستحيلا

حـوَّلَ الأرضَ عـالـمًـا عُـلـويًّـا
قاطِرًا منْ وحولِها سلسبيلا

مـلأَ الـعـالَـم الـسـمـاويَّ شـدوًا
مُـنـزلًا مـنـه لـلـوَرى إنـجـيـلا

هاكِ عقدَ النجومِ بين يديهِ
صـارَ بـعـد انْـفـراطِـهِ إكـلـيـلا!

قرب النُّجوم

وانْبرَتْ نجمةٌ لأُخرى تقولُ:
«مَـــنْ يـــحـــومْ؟
مِـــنَ الـــبـــعـــيـــدْ؟

* * *

أَهْوَ نجمٌ مُذَنَّبٌ أَمْ دَخيلُ
فـــي الـــنـــجـــومْ؟
ومـــا يـــريـــدْ؟

* * *

هُوَ يَنقَضُّ كالصواعقِ، مُنطادًا[1]
إلينا، والهولُ مِلءُ وِشاحِهْ!
بينَ برقٍ من الشراراتِ ومَّاضٍ[2]
ورعدٍ مُلعلِعٍ في صِياحِهْ!
أُنظريه يَدنو ويدنو، فهل غَلْغَلَ

---

[1] منطاد إلينا: مهاجمنا من علٍ. مرتفعًا نحونا.
[2] وماض: لماع.

في جوِّنا بقصدِ اكتساحِهْ؟
يُنطِقُ الخوفُ كلَّ عَيٍّ وهذي
رِعشةُ النَّجمِ عجَّلتْ بافتِضاحِهْ!»

وإذا نجمةٌ تجيبُ: «وقاكِ البُعدُ
أُختي، شرَّ انطلاقِ جَناحِهْ!
هوَ تحتَ السَديمِ[٣] أَعجزُ عن أَنْ
يَبلغَ النجمَ فوق متنِ رياحِهْ!

هوَ مخلوقُ عالمٍ إِسْمهُ الأَرضُ،
يُغطّي الشَّقاءُ كلَّ بِطاحِهْ
عالمٌ ما شِعارُهُ غيرَ أَنَّ الحَقَّ
للقوَّةِ التي في سِلاحِهْ

لا تخافي منه، وخلّيه يَعلو
فقريبًا يَهوي صريعَ كِفاحِهْ!»
إيهِ يا نَجمتي أَلَمْ تعرفيني
شاعرًا يُنصتُ الدُّجَى لنُواحِهْ؟

كمْ ليالٍ في الروضِ أَحييتُها
أَبكي، وأَشكو إليكِ بين أَقاحِهْ
ساكبًا في الفؤادِ من طرفِكِ
السَيّالِ بالنورِ بَلْسَمًا لجراحِهْ

وسوادُ الظلامِ في قلمي حِبْرٌ
أُوشّي بهِ بياضَ صباحِهْ
سامَحَ اللهُ فيكِ قلبًا نَسِيًّا
هو في الكونِ مثلُ قلبِ ملاحِهْ!

[٣] السديم: الضباب.

أوراقٌ متناثرة

نجمةَ الليل، رحمةً، فضلوعي
مِـــنْ شـــجـــونـــي
تـــتـــمـــزَّقْ

* * *

كَفْكِفي السَّيْلَ، إنَّه في دموعي
مِـــنْ عـــيـــونـــي
يَـــتَـــدَفَّـــقْ

* * *

واذكُريني بين الكواكبِ وادْعي
لي، عسى يَهتدي إليَّ السَلامُ

عشتُ بينَ المُنى، يُراودُ نفسي
خُلَّبٌ مِنْ طيوفِها وعَقامُ[1]

أقتفيها وفي يديَّ فؤادي
ثم أَلوي وفي يديَّ حُطامُ!

[1] العَقام: أو العُقام، ما لا نفع به ولا ناتج عنه.

أيُّ حلمٍ سبكتُهُ ذهبِيًّا
لم تُذِبْه بنارها الأيامُ

ورجاءٍ حبكتُه من خيوطِ
النورِ، لم يَنْسدِلْ عليهِ ظلامٌ؟

أيُّ عودٍ حملتُهُ للتَّلَهّي
لم تُقطِّعْ أوتارَه الآلامُ؟

ونشيدٍ وقَّعتُهُ للتأَسّي
لم يُعكِّرهُ بالأَنينِ الغرامُ

أيُّ كأْسٍ قرَّبتُها من شِفاهي
لم تَحُلْ حَنْظَلًا عليها المُدامُ؟

وفؤادٍ ذوَّبتُ فيه فؤادي
لم يَضِعْ عندَه لعهدي ذِمامُ؟[٢]

أَيُّ طيفٍ عانقتُهُ في مَنامي
لم يكَلِّلْه دمعُ عيني السِّجامُ؟[٣]

وهناءٍ زرعتُهُ في ضلوعي
لم يكُنْ منه للذُبولِ طعامُ؟

ليتَ شعري، والليلُ يَعقُبهُ
الفجرُ، متى يعقُبُ البكاءَ ابتسامُ؟

ضاعَ عمري سعيًا وراءَ رُسومٍ
خطَّطَتْها في الشاطئِ الأَقدامُ

عِشْتُ أَبني على الرمالِ وهلْ يَثْبُتُ
ركنٌ، لهُ الرمالُ دَعامُ؟

[٢] الذمام: الحرمة.

[٣] الدمع السجام: السيّال.

في عالم الأرواح

وسـرى فـي عـوالـمِ الأَرواحِ
مـــــن قـــــدومـــــي
شـــبـــهُ هـــمـــسِ

* * *

إذ تَنَسَّمْنَ مِن خفوقِ جَناحي
فـــي الـــسَـــديـــمِ
رِيـــــــحَ إنـــــــسِ

* * *

فتأَلَّبْنَ حولَ جسمي جماعاتٍ
مـلأْنَ الـجـوَّ الـفـسـيـحَ دَوِيًّـا

وإذا بـي أعـي هـنـالـكَ أَشـيـاءً
ولـمَّـا حـدَّقْـتُ لـم أَرَ شـيًّـا

فكأَني في الحُلم نشوانُ صاحٍ
تـتـوالـى رُؤَى الـخـيـالِ عـلـيًّـا

ما لِعيني والنورُ شعَّ بقربي
لـم تُـمـيِّـزْ إلّا فـراغًـا خـلِـيًّـا؟

طوَّقتني الأَشباحُ، ها هي حامَتْ

ثـمَّ أهـوَتْ تَـرِفُّ بـيـنَ يـديَّـا
ولـها كاخْتِلاجِ أَجنحَةِ النَحلِ
أَزيــزٌ يَــطِــنُّ فــي أُذُنَــيَّــا

إِنـها كاللُّـهـاث نَفْـحًـا ولَفْـحًـا
وكموجِ الشُـعـاعِ نَشـرًا وطَيًّا
غَمرتْني بالغيمِ يَنضَحُ طَلًّا
واحْتوتْني بالريحِ تَنْشُرُ رَيًّا

هـي كالوهـمِ أَلْبستهُ خيوطُ
الفكرِ ثوبًا منَ الخيالِ جَليًّا
لم يَزَلْ صوتُها إلى اليومِ في
أُذُني، وأَنفاسُـها على شفَتيَّا

إِنَّما عندَ وصفِها خانني الفكرُ
وأَلـقـى عـلـى بـيـانـيَ عَـيًّـا[1]
يـا لـهُ عـالـمًـا هـنـاك بـعـيـدًا
قـرَّبـتُـه عـروسُ شـعـري إلـيَّـا

فتنبَّهتُ مِن ذُهولي وأَصغَيتُ
لـعـلّـي أَجْـلـو هـنـاكَ خَـفِـيًّـا
فسمعتُ الذي تُوَشْوِشُهُ الأَرواحُ
عـنِّـي، ومـا تُـفـكِّـر فِـيَّـا

[1] العي: العجز والكلال.

حفنةٌ من تراب

قـال روحٌ: حَـذارِ يـا أَتـرابـي
أَبْـــــــــعِـــــــــدوهُ
عَـــنِ الـــســـمـــاءْ

* * *

هُوَ في الأرضِ حَفنةٌ من تُرابِ
فـــــــأَبـــــــوهُ
طـــــيـــــنٌ ومـــــاءْ؟

* * *

هوَ مِن نَفْخَةٍ كَفَتْ لتَجَلِّيهِ!
وتَكفي بذاتِها لاحْتجابِهِ

وكِما كانَ أَصلُهُ مِن تُرابِ
الأَرضِ، يَغدو مصيرُه لترابِهْ

ليتَهُ عادَ للثرى مثلما جاءَ
نقيًّا بنفسِهِ وإِهابِهْ[1]

[1] الإهاب: الجلد الظاهر، ويقصد به الجسد.

جاءَ والحسنُ والرُواءُ رفيقاهُ
وثوبُ العفافِ كلُّ ثِيابِهْ

وتَولَّى يقودُه الإثمُ والداءُ
إلى القبرِ في ربيعِ شبابِهْ

هُوَ يَحيا للشرِّ، فالشرُّ يحيا
أَبدًا، حيث حلَّ شؤْمُ رِكابِهْ

وهْوَ لا يَنفعُ البسيطةَ إلاَّ،
حين يَثوي في القبرِ بين رِحابِهْ

حينَ يَمْتصُّه الثرى فيُغَذِّي
منه، ما في الأَديمِ من أَعشابِهْ[٢]

يا لَعَمْري[٣] كلُّ النباتِ الذي في
الكونِ من زهرِهِ إلى لَبْلابِهْ[٤]

ليس إلاَّ عصيرَ أَجسامِ مَنْ
ماتوا فَزانوا الثرى بأَجملِ ما بِهْ!

كنَدَى الفجرِ سالَ فاشْتَفَّه التُربُ
فحالتْ وحلًا لآلي حَبابِهْ

بَخَّرَتْه ذُكاءُ[٥] فاسترجَعَتْهُ
صافيًا للأَثيرِ عينَ سَحابِهْ

فهْوَ بين السَحابِ ثانيةً قطرٌ
نقيٌّ يُحيي الثرى بانسِكابِهْ!

تلكَ حالُ الإنسانِ حيًّا وميتًا
ربَّ خيرٍ، أَلشرُّ من أَسبابِهْ!

---

[٢] الأديم: التراب.

[٣] يا لعمري: أقسم بديني.

[٤] اللبلاب: نوع من العشب الذي ينبت في الحقول.

[٥] ذُكاء: من أسماء الشمس.

رُقِيٌّ كاذب

قـالَ مـا قـالـهُ، وفـرَّ لـفـورِهْ
يَـــــــتـــــــوَقَّـــــــى
تَـــــــقَـــــــرُّبـــــــي

* * *

فـإذا آخـرٌ يـقـولُ بـدَورِهْ:
قُـــلـــتَ حـــقًّـــا
بـــــمَـــــذْهَـــــبـــــي

* * *

أنـا عـن وصِـفِ شـرِّهِ عـاجـزٌ
واللهِ، مهما أَفَضْتُ في تَبْيانِهْ
مـا دَعَـوْهُ الإنـسـانَ مـن أُنـسـهِ
لكنْ دعوهُ الإنسانَ من نِسيانِهْ
نسيَ الخيرَ حين أَوْغلَ في الشرِّ
فداسَ الضميرَ في عِصيانِهْ
ملأَتْ قلبَهُ الأفاعي فلا يُسمَعُ
غيرُ الفحيحِ في خَفَقانِهْ
حَسَدٌ ناهِشٌ بقيةَ ما في

نـفـسـهِ مـن إبـائـهِ وحَـنـانِـهْ
طَمَعٌ يَقذِفُ اللهيبَ حوالَيْهِ
فـيُـعـمـي عـيـونَـهُ بـدُخـانِـهْ

وأَنـانـيَّـةٌ تُـحِـلُّ لـه الـقَـتـلَ
لـتـحـقـيـقِ غـايـةٍ فـي كِـيـانِـهْ
أُعْطِيَ النُطقَ والحِجى ميزةً كي
يَرتَقي في الوجودِ عن حيوانِهْ

فـإذا بـالأَذى ولـيـدُ حِـجـاهُ
وإذا بـالـشـرورِ بـنـتُ لِـسـانِـهْ
عاثَ في أَرضِهِ فحالتْ جَحيمًا
فأَتى الخُلدَ عائثًا في جِنانِهْ

زجَّ بالعلمِ في الفضاءِ طيورًا
مـن جـمـادٍ، يـديـرهـا بـبـنـانِـهْ
مـا بـنـاهـا إلَّا لـهـدمِ الـمـبـانـي
ولـسـفـكِ الـدمـاءِ فـي طَـيـرانِـهْ

لـيـتَـهُ لـم يَـكُـنْ ذكـيًّـا فـكـلُّ
الويلِ في الكونِ من نُهى إنسانِهْ!
لـيـتَ عُـمـرانَـهُ تـأَخَّـر أَجـيـالًا
فـكـلُّ الـخَـرابِ فـي عُـمـرانِـهْ!

كفَّارة الشَّاعر

وتَجلَّتْ روحٌ على القُربِ منّي
رَمَـــــقَـــــتْـــــنـــــي
بـــــلا غَـــــضَـــــبْ

* * *

خِلْتُـها أَقبلتْ تدافعُ عَنّي
صـــــحَّ ظـــــنّـــــي
ولا عَـــــــجَـــــــبْ!

* * *

هيَ روحي جاءَتْ تُخلِّصُني من
غضبِ العالمِ الفخورِ بشمسِهْ

طَوَّقَتْني بكلِّ عطفٍ وصاحتْ:
أَخَـواتـي رِفْـقًـا بـهِ وبِـبُـؤْسِـهْ

هو بالرغمِ منه في عالمِ الأرضِ
وإِنْ كانَ تَزَيَّا بِزِيِّ أَبناءِ جِنسِهْ!

سـكنَ الأرضَ مُـرغمًـا وهْـوَ لَـوْ
خُيِّرَ، ما اختارَ غيرَ تُربِة رمسِهْ

إِنَّ بين السريرِ والنعشِ خُطْواتٍ

دَعَوْها الوجودَ وهْيَ بعكسِهْ
عمرُهُ ليسَ غيرَ قَطرةِ حبرٍ
وَمَضَتْ مِن يَراعِهِ فوقَ طِرْسِهْ

يَتَلاشى كالشمعِ، كي يُعطيَ النورَ،
على هيكَلِ الخُلودِ وقُدسِهْ
غَدُهُ مثلُ يومِهِ تَلعبُ الأَقدارُ
فيه، ويومهُ مثلُ أَمسِهْ

غَسَلتْ عينُه، بما سكبتهُ
مِن نَدى الدمعِ، كلَّ أَدرانِ نفسِهْ
والْتَظى قلبُه فطَهَّرَ بالآلامِ
ما دنَّستْهُ شهوةُ جِسِّهْ

جاءَ مِن أَرضِهِ يُفتِّشُ عنّي
يائسًا فاخْشَعوا احْترامًا ليأسِهْ
ودَعُوهُ معي ففي قُبُلاتي
شَهدُ حُبٍّ يُنْسيهِ عَلْقَمَ كأسِهْ!»

على بساط الرِّيح

ووَقفنا معًا بقلبِ السَماءِ
نَتَمَلَّى
مِنَ الْقُبَلْ

* * *

ما أَحبَّ اللقاءَ بعدَ التَنائي
فَهْوَ أحلى
مِنَ الْأَمَلْ

* * *

موقِفٌ لا يُمَثِّلُ الفكرُ، أَبْهى
منه، في نَوْمِهِ وفي يقَظاتِهْ

إذْ جَلَسْنا على بِساطٍ مِنَ السُحْبِ،
يُفوحُ الغَرامُ من جَنَباتِهْ

تحتَ جوٍّ كأنَّه سِنَةُ النَومِ،[1]
ترفُّ الأحلامُ في طَبقاتِهْ

---

[1] سنة النوم: النعاس.

والنسيمُ العليلُ فوقَ لظى أنفاسِنا، ساكبٌ نَدى نَفَثاتِهْ

وعَذارى الأَرواحِ تُنْشِدُ مِن بُعْدٍ بصوتٍ، أَللهُ في نَبراتِهْ!

رافَقَتْهُ قيثارةُ الحُبِّ فانْسَلَّ أنينُ الأَوتارِ في نَغَماتِهْ

فانْتَقلنا إلى فضاءٍ من البُحرانِ هاروتُ[٢] فيه بعضُ حُماتِهْ

وملأْنا مِن لَفحِ[٣] قُبْلاتِنا الجوَّ، فعادتْ بالنَفْحِ مِن قُبُلاتِهْ

ثمَّ قُمنا نُجيلُ في الكونِ، أَبصارًا أَرَتْنا منه حقيقةَ ذاتِهْ

نَنظُرُ الناسَ مِن علٍ مثلَما تَنظرُ نَمْلًا يَمْشي إلى غَزَواتِهْ

ونَرى الطَودَ في السهولِ، كما تُبْصِرُ فوقَ الترابِ ظلَّ حَصاتِهْ

ونَرى الموجَ في الخضمِّ، كما تَلمَحُ جَوًّا، والسُحْبُ في مِرآتِهْ!

---

[٢] هاروت وماروت: ملاكان ساحران يفتنان البشر.

[٣] اللفح: صفة الريح الحارة، والنفح صفة الريح الباردة.

على الأرض

تلكَ بضعٌ مِنَ الدَقائقِ مرَّتْ
في خِضَمٍّ
مِنَ الخلودْ

* * *

هيَ مثلُ الأَحلامِ زارَتْ وفَرَّتْ
أَيُّ حُلم
تُرى يَعودْ؟

* * *

وإذا بي أَهوي إلى الأَرضِ وحدي
بعدَ حريَّتي أُكابِدُ رِقَّا

تركَتْني روحي وعادتْ لمأْواها
تشُقُّ الشعاعَ في الجوِّ شَقَّا

فرأيتُ اليراعَ قُربي يُؤَاسيني،
ويَبكي لِما لَقيتُ وأَلقى!

يا يَراعي ما زِلتَ خيرَ صَديقٍ
لي — منذ امتَزَجْتَ بي — وسَتَبقى

باسمًا من سَعادتي حينَ أَهْنا

باكيًا مِن تَعاستي حينَ أَشْقى!
كمْ حبيبٍ سَلَا وعهدُكَ باقٍ
فَهْوَ أَوْفى مِنْ كُلِّ عهدٍ وأَبقى

أنتَ رَغمَ الجحودِ خلٌّ وَفِيٌّ
حَوَّلَ المستحيلَ غولًا وعَنْقا[1]
رُبَّ دمعٍ كَفْكفتَهُ مِنْ عُيوني
سالَ حِبرًا في الطِرْسِ يَخفُقُ خُفْقا

وعذابٍ نزعتَهُ مِن ضُلوعي
أَجَّ بينَ السُطورِ يُحْرِقُ حَرْقا
وزَفيرٍ حَوَّلتَه لصَريرٍ
مَلأَ الخافِقَيْنِ غَرْبًا وشَرْقا

يا يَراعي رافَقْتَ كلَّ حَياتي
فارِوِ عنّي ما كانَ حقًّا وصِدْقا
أنا لم أَلْقَ مثلَ صَمتِكَ صَمْتًا
حَوَّلَتْهُ عَرائسُ الشِعرِ نُطْقًا! ...

[1] يقول المثل العربي القديم: «المستحيلات ثلاثة: الغول والعنقاء والخل الوفي». ومعنى البيت أن المستحيلات غدت اثنين بدلًا من ثلاثة بثبوت كون اليراع هو الخل الوفي الموجود في نظر الشاعر.

هنـــداوي